ومعلوم أنهم يردّون الجموع إلى وزان المفرد في النسبة فلم أُدرك وجه انكاره الا أنني لست الآن بصدد التحقيق اللغوي ، فتمال أيها الناظر في كتابه حتى أُريكَ أنه لم يبدأ بنفسه في الانكار وجرى على المشهور بالاغترار ، حيث أنشدنا في عمدته [1] أيضا من مطربات أناشيده بيتا :

وقد نازعتْ فضل الزمام ابنَ نَكْبَة هو السيف لا ما أخلصته المشارفُ

فقوله « وليس قول من قال الخ » هـذا القائل هو ابن أخت خالته . رحمه الله رحمة واسعة ، ورزق جفرته شآبيب هامرة هامعة . انه قريب مجيب

متفرقات لغوية

« والبحث فيها على طريقة عقلية ، وفقاً للمبادىء الفيلولوجية »

﴿ أصل نون الوقاية ﴾

هذه النون تلحق ما يأتي :

(اولا) الفعل اذا اتّصل بياء المتكلم لتقي آخرهُ من الكسر كقولك نظرني وعاتبني لان الكسر ثقيل والفعل ثقيل ولا يجتمع ثقيلان ـ ما ألطف وأبدع هذا التعليل وما اثبته على محك النظر ـ فانْ قلت لم ولماذا كسرتم آخره في مثل قولكم « انظري في الامر أولا يا هند ثم عاتبي ما شئت أو مَنْ شئت » قالوا لك الياء هنا ضمير رفع والفعل يتحد مع ضمير الرفع فيصير معه كالكلمة الواحدة اذن فالياء في آخر انظري وعاتبي أصبحت آخراً وأصبحت الراء والباء حشواً ولا يمتنع كسر حرف هجاء الفعل الواقع حشواً كقولنا : قُتِل ونُظِر وعُوتِب . فان قلت لم لماذا ألحقتموها آخر المضارع المتصل بواو الجماعة كقولنا

(١) ١ : ١٠٤

هم ينظرونني ويعاتبونني وقفوا عن الجواب بل وقفت أنا عنه لأني لم أطلع على جواب منهم في هذا الصدد ولعله جاء ولكني لم أقف عليه

(ثانيا) تلحق الالفاظ المعروفة عندهم باسم الحروف المشبهة بالافعال ولكنها غير لازمة فيها فنقول إني وإنني ولعلي ولعلني وليتي وليتني. فان قلت وكيف حكم عليها أنها مشبهة بالافعال أو كيف عرفتم ذلك قالوا لانها تلحق أواخرها نونُ الوقاية كالافعال ومع ذلك فدارسو المنطق منهم ينكرون الدور . ولعلهم لايرون دوراً في تعليلاتهم هذه

(ثالثا) تلحق حرفي الجرّ « من وعن » وجوبا عند بعضهم ويجوّز آخرون حذفها على كراهة شديدة ويحتجّون بقوله :

أيُّها السائلُ عَنهم وعَني لستُ من قيسٍ ولا قيس مني

فان قلت لهم ولماذا لحقتْ أواخر هذين اللفظين وهما ليسا فعلين توقفوا في الجواب بل توقفتُ أنا للسبب المشار اليه آنفا . فإنْ قلت لهم سُمِع دخولها على ـ الباء وفي ـ فقالوا « مابِني شيء . وما فيني » أي مابي ومافيَّ . قالوا لك

(على ما أظنُّ) هذا غلط محض لانه من الدارج على لسان عوام هذه الايام . وعوامّ هذه الايام لا يُعتَدُّ بما يردعلى ألسنتهم قلّوا أو كثروا علوا أو انحطوا وعمّ الوارد على ألسنتهم أم خصّ لافرق

اذن أيُّ عوامّ يُعتَدُّ بما يدور على ألسنتهم ؟

ياسبحان الله ما أجهل هذا السؤال ألا تدرى مَنْ هم ؟

لا

هم العامة الجاهلية الذين سبقوا زمن الرسالة العربية الاسلامية أو عاصروها ولماذا لهم هذا الميزة أو الاختصاص ؟ ياسبحان الله (ياسبحان الله مرتين) هذا أجهل من سؤالك السابق . ألا تعلم أنهم كانوا جاهلية جهلاء اميين لا كتاب

لهم ولا أخلاق يثيدون البنات خيفة الجوع والاملاق ويأكلون الضباب والحيات ويسبون النساء والبنات

لكن أما كان عربٌ غير هؤلاء الاعراب ؟ وبمَنْ أفلَمْ يدخل هؤلاء في الاسلام وكان لابنائهم فيه أكبر شرف وفخر الذين بقوا على أعرابيتهم والذين تحضروا فحرّك كوامن نفوسهم وطهرها عن رجاسات معتقداتهم وعاداتهم وزاد في لغتهم كتاباً لم تدرُ ألسنتهم بمثله ألفاظاً وعبارات هي في نهاية من رونق الفصاحة والبلاغة وجمال الاعراب الذي كاد يكون فيه فنًّا كاملا في كلياته وجزئياته وزاد فيها أيضا ما يزيد عن عشرة آلاف خبر وحديث جَمَعَتْ أفضل حكمة وخير آداب دُوّنت في الدفاتر وحُفظت ذخراً للاجيال الباقية تشرق معانيها بالفاظها كأنها تفاح من ذهب في مصوغ من فضة

وما الذي تريد أن تقوله وراء ذلك ؟ أريد أقول ان أبناء هؤلاء الذين دخلوا في الاسلام وورثوا فوق لغة آبائهم لغة القرآن والحديث يُلقنونها في المدارس صغاراً ويُوعظون بها في المساجد كباراً ينبغي أن تُعتبر لغة عامتهم اليوم كما كانت تعتبر لغة عامة أبناء الجاهلية بالامس ويستشهد بها كما كان يستشهد بتلك ان لم نقل ينبغي أن تقدَّم عليها. وقد سمعت في هذه اللغة مَن يقول تارة عمري ما سمعت وتارة اخرى عُمرْني ما سمعت . ومن يقول أيضا ماني ولاني أي ما أنا ولا أنا. رأينا مما مر انّ هذه النون تدخل على بعض أنواع الفعل وصور تصريفه مع ضمير المتكلم غير لازمة وعلى الحروف المشبهة بالافعال وعلى بعض حروف الجرّ من وعن والباء وفي واللام . وعلى حرْفي النفي ما ولا كقولهم مثلا مالي جوعان ولاني شبعان وأزيد فاقول انها تدخل على لفظ «عِمْر» من الاسماء الموصوفة فيقال عمري تارة وعمرني تارة اخرى في لغة بلاد الشام اجمالا.

ولعلّ أهل مصر والعراق يدور على ألسنتهم في هذه اللفظة ما يدور على

ألسنة الشاميين . وأخيراً تدخل على اسم الفاعل المتعدي من الصفات المشتقة كقولهم مثلا لما ذا أنت حاسبني غريباً عنك . وهذا أكيد مثل ما أنت شايفني وأنا شايفك . وفعلتُ مثلما كنت آمرني أو منتظرني أفعلْ . وبلغني أنك لابغى الخ وهو كثير جداً على الألسنة في أغلب المدن الشامية وقراها

قلت في أغلب المدن والقرى ولم أقل في جميعها للحيطة لا لاعتقادٍ فاني لا أذكر أني سمعت في حياتي كلها من قال شايفني أو آمري أو ناظرني أو منتظري أو عاوزي أو عايبي أو عايري الخ بل كلهم يقولون كل هذه بالنون قبل الياء أي شايفني وآمرني وسامعني ولايني الخ وهذه الاخيرة جاءتْ في قول المتنبي :

أنا لائمي ان كنتُ وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

ولأني ألفتها لكثرة ما تكرّر بيتُ المتنبي هذا على نظري وسمعي سنة بعد سنة توهمت بادىء بدء أنا نقول عفو الخاطر « أنت لائمي » والحقيقة على عكس ذلك بدليل أنها لا تدور على اللسان بتلك السهولة التي تكون المألوف من ألفاظنا . بل الذي أشعر به انها تتعاصى عليَّ فيما لو اردت الحذف وتنفر منه وتستقيد الى الذكر وتانس به الا في بيت المتنبّي . وبطول بي الكلام اذا تصدّيت لبيان السبب فلندع ذلك الآن جانباً ولنتقدّم الى موضوع كلامنا أي ما هو أصل هذه النون فنقول :

بعد أن ذكرنا عنها ما ذكرناه لا يسعنا بعده التسليم مع القائلين انها اجتلبت اعتباطاً لتقي آخر الفعل من الكسر منعاً من التقاء الثقيلين .ولا أظنُّ أحداً من ذوي المسكة يرضى بعدُ هذا التعليل ولا القضية المعللة به فلننظر إذاً الى قول آخر يثبت على محك النقد

رأينا أن هذه النون تصحب ياء المتكلم مع الاسماء والحروف أيضاً لا مع الافعال فقط وانها في صحبتها لها تأتي واجبة طوراً وجائزة طوراً آخر . على أن

النون لا تكون بدون الياء بخلاف الياء فانها تأتي وحدها وتأتي بعد النون ولكنها أي النون لا تزيد المعنى في شيء على الاطلاق اذا ذُكِرَتْ ولا تنقصه شيئاً كذلك اذا حذفت فإني وإني وكأني وكأني ويروني ويروني ويسمعوني ويسمعوني ومنتظروني ومنتظروني لا تزيد زيادة النون من المراد ولا ينقص نقصانها شيئاً منه بوجهٍ من الوجوه كما ترى . والذي يجب أن يُؤخذ من ذلك هو أنَّ النون والياء هما حرفا هجاء لكلمة معناها الموضوع بازائها هو والمعنى الموضوع بازاء ياء المتكلم واحد . فما هي هذه الكلمة ؟

إنَّ لضمير المتكلم المرفوع صورتين « أنا » وهي أشهرهما وأكثرهما دوراناً على الألسنة و « أني » بالامالة الشديدة الى الكسر أو باخلاصه ولا تزال هذه الصورة محفوظة في المعاجم وعلى ألسنة المتكلمين في كثير من الاصقاع ومنها جبل عامل . والعامليون عن آخرهم أهل أدب وفصاحة لا تباري فيهما عامةٌ عامتَهم ولا خاصةٌ اجمالاً خاصتَهم وهم كما أُخبرتُ واختبرتُ في حديث بعض أدبائهم يميلون في ضمير المتكلم المرفوع كما يميلون في النون والياء في مثل انتظَرَني ومنتظرني الخ

نعود فنقول إنَّا اذا سلَّمنا أنَّ « نى » التى في مثل ينتظرني ومنتظرني والتى في « مانى ولانى » والتى في « عدانى وعسانى » وفى أنظُرُني وانظرانى وانظرونى هى واحدة ـ وهى كذلك ـ لم نتوقف بعدها عن ان نرى « نى » مختزلة من ضمير الرفع بحذف الهمزة . وما أكثر نظائر هذا الحذف كان على لسان من تقدَّمنا فى ماضى وما أكثرهُ على ألسنتنا الآن ثم لكثرة الاستعمال وظهور المعنى سقطت النون في الاسماء للاختصار الا انها بقيت على الالسنة تثبت تارةً وتسقط تارةً اخرى مع لفظة « عُمِرْ » وحيدةً في باب الاسماء الموصوفة على ما أعلم ولكن دلالتها واضحة لمن يعنون بابحاث اللغة الفيلولوجيَّة .

وأمَّا في باب الصفات من أسماء الفاعل المتعدّية فلا تزال النون فيها تثبت أو تسقط وفقاً لاوهام المتكلّم أو لرغائبه على ماهي عليه الحال في باب الحروف المشبهة بالافعال وفي بعض الافعال الجامدة كعسى وخلا وعدا وحاشا أما عسى فمشهور ثبوت النون وحذفها فيها كعساني وعساي . واذكر انى سمعتُ بعضهم يقولون « ماعداني » وأمَّا خلا وحاشا فلا أرى وما اظنّ كثيرين غيري يرَون مسلمهم تنبو أو السنتهم تستعصي عن أن تدور بهذين الفعلين مُلحقين بالنون قبل الياء

وآخر ما اذكرهُ في هـذا البحث هو الاشارة الى السبب الذي من أجلهِ ثبتت النون مع الياء في الفعل ولم تثبت مع الاسم وانَّها أي الياء أولى بالثبوت من النون ولكني لا أضمن أن يظهر الأمر لغيري كما هو ظاهر لي فما كل مايكفي ليُكَوِّن اعتقادنا يكفي لان تقوم بهِ الحجَّة على غيرنا

لايخفى أن اللغة لاتجوّز الالتباس مطلقاً وتهرب من التعقيد . ثمَّ هي تطلب السهولة مع الايجاز وحسن الوقع في السمع لاترضى بالاوّل الاَّ مكرهةً ولا تعدل عن الثاني الاَّ لغرض أو لغفلةٍ . فاذا علمنا ذلك بل اذا سلمنا به قلنا : اذا سلطنا الفعل المتعدي الماضي كسمع مثلاً على الضمير « أني » وقلنا « زيدٌ سمع أني اتكلم » فلا نلبث أن نحذف الهمزة ونقول زيد سمعني اتكلم لانَّ في حذفها ايجازاً وحسن وقع في السمع من جهة وهذا من مطالب اللغة ، ولانَّ الحذف هذا لم يؤدِّ الى التباس ولا الى تعقيد من جهة اخرى ، ومثل قولك « سمعني زيدٌ يسمعني زيدٌ »

هذا فاحذف النون واحكم لنفسك فانَّك ترى الحذف يؤدّي الى تعقيد ان لم نقل الى التباس ويفقد اللافظ مع الحذف أيضاً حسن الوقع في السمع ، وهذا ممَّا تنكرهُ اللغة وتهرب منهُ

أمَّا الزيدان يسمعانِ والزيدون يسمعون فاذا سلطت هاتين الصورتين على

« اني » وقلت يسمعانِ أني ويسمعون اني فما قلناه عن الهمزة مع المفرد نقوله عنها مع المثنى والجمع أي ان طبع اللغة يطالب بل يقتضي حذفها * ثُمَّ عد فاحذف النون فلا ترى أنْ قد حصل من التعقيد والكراهة في السمع ما كان قد حصل مع المفرد . ولما كان لا يُرى كبير فرق بين يسمعانني ويسمعاني ويسمعونني ويسمعوني وكانت الصورة الثانية أسهل وأخصر من الاولى صاروا يفضلون حذف احدى النونين الا اذا احتيج الى اثباتها . قس على المضارع هذا الحروف المشبَّهة بالافعال المختومات بالنون . أمَّا غير المختومات بها فصار يُفضَّل حذف النون في احداها فتقول لَعَلّي بدون النون ونفضلها على لعلّ . ومثل لعلَّ عَسَى وحاشا فانَّا نفضل عساي على عساني وحاشاي على حاشاني

بعد هذا التدرّج الذي تدرّجناهُ في بعض صور الفعل وفي الحروف المشبَّهة بالافعال أصبحنا نستأنس بعض الاستئناس بالياء وحدها مع الاسماء الموصوفة ولا نراهُ كفراً اذا قلنا عنها هي بقيَّة الضمير المرفوع المنفصل « أني » مختزلة منهُ مع الايام * ويُقرّب ذلك الى افهامنا نوعاً بقاء هذه النون على الالسنة في أسماء الفاعل من المتعدّي كقولهم « ما كنتَ منتظرني ولا كنتَ حاسبني رايح اجي »

أمَّا أنَّ النون أولى بالحذف فلانها ليست أصليَّة مع ضمير الحاضر أي المتكلم والمخاطب كما اعتقد . وهذا هو اعتقاد العلاّمة المرحوم يوسف داود الموصلي في كتابهِ المشهور « اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانية » وزد على ذلك انها أي النون بعد أن حُذِفت الهمزة صارت أولاً (كالهمزة أولاً) والأوَّل أولى بالحذف من ثانيهِ في الغالب وفوق كل ذي علم

الجامعة الاميركية (بيروت)

جبر ضومط

﴿ الزهراء ﴾ ان هذا البحث في رد نون الوقاية الى ضمير المتكلم المرفوع « أني » واقتراضها مختزلة منه يفتح أبوابا للتفكير في أصل كثير من الحروف العربية ، وامعان النظر في تاريخها ؛ منذ كانت على سذاجتها الاولى قبل افتراق اللهجات السامية الى أن رفلت في حلة الكمال عند بزوغ فجر الاسلام ولا ريب أن الاطوار التي تقلبت على اللغة العربية في تلك الاحقاب الكثيرة تنطوي على أسرار في نشوء هذه اللغة يستعصي استكناه كثيرها . ومما يعين على معرفة قليلها مقارنة العربية باخواتها الساميات في بعض المواطن لأنهن جميعاً يرجعن الى أصل واحد ، ثم مقارنة المضرية بلغات سائر القبائل ، وبعضُ هذه اللغات نبه عليه علماء اللغة وبعضها لا يزال باقياً في بقاع كثيرة من بلاد الشام ومصر وغيرها كوجود كثير من خصائص لغة تميم في عامية الشام[1] . ونظن الاستاذ السيد جبر ضومط عنى هذا الضرب من الفائدة في درس عاميات زماننا والازمان التي تقدمته بعد الاسلام

أما الاحتجاج بعاميتنا فيما يتعلق بالمضرية وقوانينها المدوّنة في دفاتر الأئمة فذلك لايخطر على بال الاستاذ ولا غيره ، لان العامة في القبائل المضرية كانت حجة فيما تنطق به من البيان المضري دون غيره قبل أن تفسد سلائقها ، كما أن العامي المصري أو الشامي اليوم حجة فيما ينطق به من لهجة بلده دون لهجات البلاد الاخرى . ولا يبعد أن يكون احتفاظ اللهجات العامية دون الفصحى بالنون المختزلة من ضمير « أني » في بعض الكلمات ميراثاً من لغات قبائل نزلت في الشام ومصر بعد الاسلام أو قبله أو في عهد أعرق من ذلك في القدم

(١) العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله بحث في ذلك اثناء في مجلتنا (السلفية) التي صدرت سنتين أثناء الحرب العظمى . والمرحوم حفني بك ناصف بحث قدمه الى مؤتمر المستشرقين في دلالة عامية كل بلد عربي على القبائل التي نزلت ذلك البلد